الفرق بين المكي والمدني

المكي من الآيات ما نزل قبل الهجرة سواء نزل في مكة نفسها أم في اطرافها ، حتى أن ما نزل في سفر الهجرة يعد مكياً .

والمدني من الآيات هو ما نزل بعد وصول النبي ﷺ الى المدينة سواء بالمدينة نفسها أم في غيرها . هذا هو القول الراجح لدى العلماء .

ويمتاز المكي غالباً باشتماله على القواعد الكلية والأسس الاصلية ، وأهم ذلك :

١ — إثبات وجود الصانع وتمكين قواعد التوحيد بعد استئصال شأفة الشرك وعبادة الاوثان . ولما كان معظم العرب لدى ظهور الاسلام لا ينكرون وجود الصانع وإنما يشركون به غيره كانت معظم الآيات المكية ترمي الى اثبات الوحدانية وتبرهن عليها وتفند عقيدة الشرك وعبادة الاوثان ومحو كل ما يتصل بالاصنام من تحريم ما يذبح عليها أو له صلة بها :

كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وما لم يذكر اسم الله عليه الى غير ذلك مما له صلة بالوثنية .

٢ ـ إثبات نبوته ﷺ الى خلقه وانه رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وليخرج الناس من الظلمات الى النور .

٣ ـ اثبات الدار الآخرة التي يثاب فيها المحسنون ويعاقب الظالمون .

٤ ـ بيان الصفات والخصال التي تقرب العبد من ربه وتدخله دار ثوابه والخصال التي تبعد العبد من ربه وتهوي به الى دار عقابه .

٥ ـ الأمر باقامة الصلاة وايتاء الزكاة ولكن الصلاة قد فصلت بالمدينة .

٦ ـ الاذن بقتال الكافرين والمعاندين وهذا آخر ما نزل بمكة .

ويمتاز المدني بأمور أهمها :

١ ـ اشتماله على أخبار الغزوات وأسبابها وما الى ذلك .

٢ — فرض صلاة الجمعة وبيان صلاة الخوف .

٣ — فرض صوم رمضان

٤ — فرض الحج

٥ — بيان مصارف الزكاة

٦ — نظام الأسرة . من زواج وتعدد زوجات ومن يصح تزوجها ومن لا يصح وحقوق الزوجين وواجباتها وتفصيل المواريث .

٧ — وضع أسس المعاملات كالوفاء بالعقود ، والنهي عن أكل أموال الناس بالباطل ، وكيفية توثيق الدين وغير ذلك .

٨ — شرع الحدود كحد الزنى والقذف والسرقة وقطع السبيل .

٩ — القصاص سواء كان بالنفس أو بالاطراف .

وصيغة الخطاب في المكي تارة تكون يا أيها الناس وتارة تكون يا بني آدم . وفي المدني يغلب ان تكون يا أيها الذين آمنوا

وكل سورة فيها ذكر المنافقين مدنية إلا العنكبوت لأن

المنافقين لم يكونوا بمكة وكل سورة فيها سجدة مكية الا الحج إذ الراجح انها مدنية ، كما أن كل سورة فيها كلمة (كلا) مكية لأن عبارات الزجر والردع انما تليق بالجبابرة سكان مكة .

وجاء في تفسير المنار ما ملخصه :

إن جل السور المكية في أصول الايمان الاعتقادية من الالهيات والوحي والرسالة والبعث والجزاء وغيرها من عالم الغيب ، وقصص الرسل مع أقوامهم ، ويلي ذلك فيها اصول التشريع الاجمالية العامة ، والآداب والفضائل الثابتة ، ويتخلل هذا وذاك محاجة المشركين ودعوتهم الى الايمان بتلك الاصول ودحض شبهاتهم ، وابطال ضلالاتهم ، وتشويه خرافاتهم .

أما السور المدنية فتكثر فيها قواعد الشرع التفصيلية ، وأحكام الفروع العملية ، بدلا من أصول العقائد الايمانية ، وقواعد التشريع العامة المجملة ، كما تكثر في بعضها محاجة أهل الكتاب ، وبيان ما ضلوا فيه عن هداية كتبهم ورسلهم ، ودعوتهم الى الايمان بخاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه وعليهم

أجمعين . وفي بعضها بيان ضلالات المنافقين ومفاسدهم وكل من هذا وذاك يقابل ما في السور المكية من بيان بطلان الشرك وغواية أهله ...

وجاء فيه أيضاً :

أن أكثر السور المكية لاسيما المنزلة في أوائل البعثة قوارع تصخ الجنان ، وتصدع الوجدان ، وتفزع القلوب الى استشعار الخوف ، وتدع العقول الى اطالة الفكر ، في الخطبين الغائب والعتيد ، والخطرين القريب والبعيد ، وهما عذاب الدنيا بالابادة والاستئصال أوالفتح الذاهب بالاستقلال وعذاب الآخرة وهو أشد وأقوى ، وأنكى وأخزى ، وبكل من هذا وذاك انذرت السور المكية اوائك المخاطبين اذا أصروا على شركهم ، ولم يرجعوا بدعوة الاسلام عن ضلالهم وأفكهم ، ويأخذوا بتلك الأصول المجملة التي هي الحنيفية السمحة السهلة ، وليست بالشيء الذي ينكره العقل ، أو يستثقله الطبع ، وانما ذلك تقليد الآباء والأجداد يصرف الناس عن سبيل الهدى والرشاد .

راجع تلك السور العزيزة ولا سيما قصار المفصل منها كالحاقة ما الحاقة ، والقارعة ما القارعة ، واذا وقعت الواقعة واذا الشمس كورت ، واذا السماء انفطرت ، واذا السماء انشقت ، واذا زلزلت الارض زلزالها ، والذاريات ذروا ، والمرسلات عرفا ، والنازعات غرقا .

تلك السور التي كانت بنذرها ، وفهم القوم لبلاغتها وعبرها ، لفزعهم من سماع القرآن ، حتى يفروا من الداعي ﷺ من مكان الى مكان (٧٤ : ٥٠ كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) ، (١١٥ : ٥ ألا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون ومايعلنون) ثم الى السور المكية الطوال فلا تجدها تخرج في الاوامر والنواهي عن حد الاجمال كقوله عز وجل (١٧ : ٢٣ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) الى ٣٧ منها ، وقوله بعد إباحة الزينة وانكار تحريم الطيبات من الرزق (٧ : ٣٢ قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون)

وأما السور المدنية فني أسلوبها شيء من الاسهاب ولا سيما في مخاطبة أهل الكتاب لانهم أقل بلاغة وفهما من العرب الاصلاء ولاسيما قريش ، وما فيها من الكلام في أصول الدين أكثره محاجة لهم (لأهل الكتاب) ونعي عليهم واثبات لتحريفهم ما نزل اليهم ، وابتداعهم فيه واعراضهم عن هدايته ونسيانهم حظاً مما ذكروا به ، ودعوة لهم الى التوحيد الخالص توحيد الالوهية والربوبية ، وبيان لكون الاسلام الذي جاء به القرآن ، هو دين جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام .

وفي هذه السور المدنية أيضاً بيان لما لا بد منه من الاحكام العملية في العبادات والمعاملات الشخصية والمدنية والسياسية والحربية ، ولاصول الحكومة الاسلامية والتشريع فيها ، كما تراه في طوال المفصل منها كالبقرة وآل عمران والنساء والمائدة .

وقال الخضري : لكل من المكي والمدني مميزات متى عرفها المتعلم أمكنه التمييز بينهما منها :

أولا : ان آيات المكي على الجملة قصار بخلاف الآيات

المدنية ، وشاهد ذلك أن السور المدنية تزيد قليلا على ١١/٣٠ من القرآن وعدد آياتها (١٤٥٩) أي انها تزيد قليلا على ربع مجموع آياته ، ومن الأمثلة القريبة على ذلك جزء (قد سمع) كله مدني وعدد آياته (١٣٧) ، وجزء (تبارك) مكي وعدد آياته (٤٣١) ، وجزء (عم) مكي وعدد آياته (٥٧٠) .

ومن ذلك الأنفال والشعراء كلتاهما نصف جزء من القرآن ، لكن الأولى مدنية عدد آياتها ٧٥ والثانية مكية عدد آياتها ٢٢٧ .

وهـذا المميز أغلبي فقد يوجد في الآيات المكية طول واكثره في السور الطوال .

ثانياً : خطاب الجمهور في الآيات المدنية يغلب أن يكون قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا ، وقلما يرد بقوله : يا أيها الناس . وأما في خطابه في الآيات المكية فبالعكس ، ولم نر في السور المكية يا أيها الذين آمنوا . أما في السور المدنية فورد يا ايها الناس سبع مرات :

١ — يا ايها الناس اعبدوا ربكم (البقرة ٢٠)

٢ — يا ايها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا
(البقرة ١٦٧)

٣ — يا ايها الناس اتقوا ربكم (النساء ١)

٤ — أن يشأ يذهبكم ايها الناس (النساء ١٣٣)

٥ — يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
(النساء ١٧٠)

٦ — يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم
(النساء ١٧٤)

٧ — يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى
(الحجرات ١٣)

ثالثاً : آيات المكي ليس فيها شيء من التشريع التفصيلي ، بل معظم ما جاء فيها يرجع الى المقصد الاول من الدين وهو توحيد الله سبحانه وتعالى واقامة البراهين على وجوده والتحذير من عذابه ووصف يوم الدين وأهواله ونعيمه والحث على مكارم الأخلاق التي بعث رسول الله ﷺ ليكملها ، ثم ضرب الأمثال بما أصاب الأمم حينما خاطب مادعاها اليه

انبياؤها . أما التشريع التفصيلي فمعظمه وارد في الآيات المدنية .

وان التالي للآيات المكية ليجد فيها شدة واسراً لا يجدها في الآيات المدنية ، ذلك لأن النبي كان بمكة مضطهداً قليل الناصر ، فكان بحاجة الى من يشد عضده ويربط على قلبه ، فجعل الله له قوة التبليغ ما يجعله يؤمن كل الايمان بفوز حقه على باطلهم وقهر دينه لوثنيتهم ، ومن أمثلة هذه الآيات قوله تعالى : « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » وقوله : « وليعلمن نبأه بعد حين » وقوله : « فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون » وقوله : « قل رب اما تريني ما يوعدون رب فلا تجعلني في القوم الظالمين » .

وأما الآيات المدنية فقد كانت في قص حوادث الغزوات واستخلاص العبرة منها للمسلمين ، كما كانت في بيان العبادات والمعاملات من صلاة الجمعة وصلاة الخوف والصيام والحج والزكاة والقصاص والزواج والميراث ، والتنبيه على آداب اجتماعية كآداب الاستئذان ورد التحية والنهي عن ابداء الزينة الى غير ذلك من الآداب التي لا يصلح الاجتماع بدونها .

جمع القرآن

كان النبي ﷺ عندما ينزل عليه الوحي وهو بين اصحابه تلا عليهم ما نزل عليه لساعته ، وإذا نزل عليه في غير محضر القوم خرج اليهم فتلقوه منه وحفظوه عنه ، ثم يأمر كتاب وحيه بكتابة ما ينزل بين يديه من آي الذكر الحكيم في جرائد النخل والأكتاف وترتب الآيات حسب إرشاده ﷺ الى مواضعها . قال مالك رضي الله عنه : إنما الف القرآن على ما كانوا يسمعونه من رسول الله ﷺ . وذكر ابو بكر الأنباري في كتاب الرد : ان الله تعالى أنزل القرآن جملة الى سماء الدنيا ، ثم فرق على النبي ﷺ في عشرين سنة ، وكانت السور تنزل في أمر يحدث ، والآية جواباً لمستخبر يسأل ويوقف جبريل رسول الله ﷺ على موضع السورة والآية . بدليل أن النبي ﷺ كان يقرأ سوراً كاملة كالبقرة وآل عمران والنساء . وفي البخاري : أنه قرأ الأعراف في المغرب ، وقد أفلح المؤمنون في الصبح ، وهل أتى في صبح الجمعة أو خطبتها .

روي عن عثمان بن العاص رضي الله عنه انه قال : كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من السورة « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى » الآية .

فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف ، فكله عن محمد خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام عن رب العالمين . فمن أخر سورة مقدمة ، أو قدم أخرى مؤخرة ، فهو كمن أفسد نظم الآيات وغير الحروف والكلمات ، ولا حجة على اهل الحق في تقدم البقرة على الانعام . والانعام نزلت قبل البقرة ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ عنه هذا الترتيب ، وهو كان يقول : ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن . وكان جبريل عليه السلام يقفه على مكان الآيات .

روى النيسابوري عن ابن عباس قال : كان رسول الله إذا نزلت عليه سورة دعا بعض من يكتب فقال : ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيها كذا وكذا . وقال عثمان

ابن عفان رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضع هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا . وأخرج البخاري عن ابن مسعود قال : والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت . وقال أيوب : سأل رجل عكرمة عن آية من القرآن فقال نزلت في سفح ذلك الجبل وأشار الى سلع .

قال البغوي في شرح السنة : الصحابة رضي الله عنهم جمعوا بين الدفتين القرآن الذي أنزله الله على رسوله من غير أن زادوا أو نقصوا منه شيئاً خوف ذهاب بعضه بذهاب حفظته فكتبوه كما سمعوا من رسول الله من غير أن قدموا شيئاً أو أخروا أو وضعوا له ترتيباً لم يأخذوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه

الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا ، فثبت ان سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه فان القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب أنزله الله جملة الى السماء الدنيا ثم كان ينزل مفرقاً عند الحاجة ، وترتيب النزول غير ترتيب التلاوة .

قال زيد بن ثابت رضي الله عنه كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن في الرقاع .

وقد قال عليه الصلاة والسلام كما أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد : لا تكتبوا شيئاً غير القرآن .

وقد كان كتاب الوحي على قول ستة وعشرين صحابياً ، وعلى قول آخر اثنين وأربعين صحابياً ، وأشهرهم : ابو بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وعثمان ذو النورين ، وعلي ابن ابي طالب ، وعامر بن فهيرة ، وأبي بن كعب ، وثابت بن قيس بن شماس ، ويزيد ابن ابي سفيان ، والزبير بن العوام ، والمغيرة بن شعبة ، وخالد بن الوليد ، والعلاء بن الحضرمي ، وعمرو بن العاص ، وعبدالله بن الحضرمي ، ومحمد بن سلمة ، وعبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول ، وابان بن سعيد ،

والأرقم ابن ابي الأرقم ، وحنظلة بن الربيع الأسدي ، وخالد بن سعيد بن العاص ، وحبان بن سعيد بن العاص ، وعبدالله بن الأرقم الزهري ، وعبدالله بن سعد بن ابي سرح ، وشرحبيل بن حسنة ، ومعيقيب بن ابى فاطمة . رضي الله عنهم أجمعين . وأما معاوية ابن ابي سفيان ، وزيد بن ثابت رضي الله عنهما فكانا يلازمان الكتابة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فى الوحي وغيره لا عمل لهما غير ذلك ، وكان الذي يكتب من الوحي يوضع فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكتب الكتاب لهم صورة ويدلهم النبي عليه الصلاة والسلام على موضعها من السورة .

وقد كان بعض الصحابة يكتبون ما ينزل من القرآن على جريد النخل وصفائح الحجارة وعظام الأكتاف والأضلاع من الشياه والابل . كما كان النبي عليه الصلاة والسلام يرشدهم الى موضع كل آية من السورة التي ينبغي أن تكون فيها .

والمصاحف التي عرضت على النبي صلى الله عليه وسلم فى حياته وقرأت عليه ثلاث : مصحف عبد الله بن مسعود ،

ومصحف ابي بن كعب ، ومصحف زيد بن ثابت وهو آخرها عرضا على النبي صلوات الله وسلامه عليه إذ كان فى سنة وفاته وبقراءته كان يقرأ عليه الصلاة والسلام ، ولذلك اختاره المسلمون .

وجاء فى صحيح البخاري من حديث قتادة قال : سألت أنس بن مالك رضي الله عنه عمن جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال : أربعة كلهم من الأنصار أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وابو زيد . قلت لانس من أبو زيد ، قال : أحد عمومتي .

وقول أنس انه لم يجمع القرآن غير أربعة يحتمل انه لم يجمع القرآن وأخذه تلقيناً من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اولئك الأربعة لأنه قد ثبت بالطرق المتواترة انه جمع القرآن عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وتميم الداري ، وعبادة بن الصامت ، وعبدالله بن عمرو بن العاص .

وانما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بكتابة ما ينزل عليه من القرآن الكريم وجمعه لتبليغ الوحي على الوجه

الأكل لأن الاعتماد على حفظ الصحابة غير كاف لأنهم عرضة للنسيان والموت فلو اعتمد على حفظهم وحده لخشي ضياع شيء منه بالنسيان أو الموت ، أما الكتابة فباقية لا يتطرق اليها شيء من ذلك وليعاضد المكتوب المحفوظ

وقال الذهبي : عثمان احد من جمع القرآن على عهد الرسول قرأ عليه المغيرة ابن ابى شهاب المخزومي . وقال ابو عبد الرحمن السلمي قرأ زيد بن ثابت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفاه الله فيه مرتين ، وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت لأنه كتبها لرسول الله وقرأها عليه وشهد العرضة الأخيرة ، وكان يقرأ الناس بها حتى مات ولذلك اعتمدها ابو بكر وعمر في جمعه ، وولاه عثمان كتابة المصاحف .

وقد أمر أبو بكر الصديق رضي الله عنه زيد بن ثابت كاتب الوحي رضي الله عنه فكتب له القرآن لما رأى أن اكثر القراء قد قتلوا في حرب اليمامة سنة ١٢ من الهجرة وكان في ربيع الأول وبئر معونة في حروب الردة . وذلك أن عمر

بن الخطاب رضي الله عنه لما رأى ما أصيب به المسلمون باليمامة وان القتل قد اشتد بحفاظ القرآن فقد بلغ من قتل منهم سبعين وقيل سبعمائة فزع الى ابي بكر رضي الله عنه وذكر له ذلك وأنه يخشى أن يشتد القتل بالقراء وحفظة القرآن في بقية الحروب وأن يموت أشياخ القراء كأبي بن كعب وعبدالله بن مسعود وزيد بن ثابت ، فيرى أن يأمر بجمع القرآن في قطع الجلد المدبوغ . فأرسل ابو بكر رضي الله عنه الى زيد بن ثابت وفاتحه بذلك وقال له انك رجل عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه ، فتتبع زيد القرآن اجمعه من جريد النخل واللحاف — وهي حجارة بيض رقاق — فكان هذا الجمع عبارة عن جمع الآيات المكتوبة في الأكتاف وجريد النخل والحجارة ونسخها في الأديم ، وقال الحارث المحاسبي في كتابه فهم السنن : كتابة القرآن ليست بمحدثة فانه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابته ولكنه كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف والعسب ، فانما أمر الصديق بنسخها من مكان الى

مكان مجتمعاً ، وكان ذلك بمنزلة اوراق وجدت في بيت رسول الله فيها القرآن منتشر فجمعها جامع وربطها بخيط لا يضيع منها شيء . وقد احتاط ابو بكر الصديق رضي الله عنه في هذا الجمع كل الحيطة ولم يقتصر على المكتوب و المحفوظ في الصدور بل ضم الى ذلك ما يزيد الثقة والطمأنينة في القلوب وهو شهادة الشهود على أن هذا مكتوب بين يدي الرسول عليه الصلاة والسلام ويدل على ذلك ما أخرجه ابن أبي داود من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن ابا بكر قال لعمر ولزيد : اقعدا على باب المسجد فمن جاء كما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه . وقد قال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه : أعظم الناس أجراً في المصاحف ابو بكر رضي الله تعالى عنه ، رحمة الله على ابى بكر هو أول من جمع كتاب الله ، فكانت هذه الصحف عند ابي بكر رضي الله عنه حتى توفاه الله ، ثم انتقلت الى عمر الفاروق رضي الله عنه فكانت عنده طوال حياته ، ثم انتقلت الى حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وبنت عمر رضي الله عنهما .

ولما كان زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه وقد اتسعت الفتوحات وكثر الاختلاف في القراءة بحسب اللهجات لتفرق القراء والحفاظ في البلاد ، ولاختلاط العرب بالامم الاعجمية بحيث أصبح يخشى على القرآن وافته ، أحس حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قائد عثمان رضي الله عنه وكان يغازي اهل الشام في أرمينيـــة واذربيجان مع اهل العراق بسوء عاقبة هذا الاختلاف عند ما تنازع الفريقان ، وقرأت كل فرقة بما روى لها . قال ابن الاثير : فلما عاد حذيفة قال لسعيد بن العاص لقد رأيت في سفرتي هذه أمراً لئن ترك الناس ليختلفن في القرآن ثم لا يقومون عليه أبداً ، قال : وما ذاك ؟ قال : رأيت أناساً من اهل حمص يزعمون أن قراءاتهم خير من قراءة غيرهم ، وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد بن الاسود ، ورأيت اهل دمشق يقولون ان قراءتهم خير من قراءة غيرهم وانهم قرأوا على ابي الدرداء ، ورأيت اهل الكوفة يقولون مثل ذلك وأنهم قرأوا على عبدالله بن مسعود ، واهل البصرة يقولون مثل ذلك وانهم قرأوا على ابي موسى الاشعري

ويسمون مصحفه (لباب القلوب) ، فلما وصلوا الى الكوفة أخبر حذيفة الناس بذلك وحذرهم ما يخاف ، فوافقه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير من التابعين ، وقال له أصحاب ابن مسعود : ما تنكر ؟ ألسنا نقرؤه قراءة ابن مسعود ؟ فغضب حذيفة ومن وافقه ، وقالوا انما انتم أعراب فاسكتوا فانكم على خطأ ، وقال حذيفة : والله لئن عشت لآتين أمير المؤمنين ولأشيرن عليه أن يحول بين الناس وبين ذلك ، فاغلظ له ابن مسعود ، فغضب سعيد وقام ، وتفرق الناس ، وغضب حذيفة وسار الى عثمان فاخبره بالذي رأى ، وقال : أنا النذير العريان فادركوا الامة ، فجمع الصحابة واخبرهم الخبر فاعظموه ورأوا جميعاً ما رأى حذيفة فبعث عثمان رضي الله عنه الى أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها فبعثت اليه بالمصحف ، ثم أرسل الى زيد بن ثابت ، وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وأمرهم أن ينسخوها في المصاحف ، ثم قال لهم ما اختلفتم فيه انتم وزيد فاكتبوه بلسان قريش فانه نزل بلسانهم ، وذلك في

رسم الحروف لا في تأليف الآيات وتركيب الجمل لأن ذلك كان مفروغاً منه على عهد رسول الله ﷺ متفقاً عليه بين جميع الحفاظ .

وكانت تلك المصاحف التي استنسخت سبعة ، فارسل منها الى مكة ، والشام ، واليمن ، والبصرة ، والكوفة ، والبحرين ، وحبس نسخة بالمدينة وهي مصحفه الذي يسمى بالامام .

فكل عمل عثمان رضي الله عنه هذا سوق المسلمين الى قراءة واحدة ألا وهي لغة قريش التي نزل القرآن بها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها .

وقد ارتضى الصحابة رضوان الله عليهم هذا العمل ، وقد قال علي رضي الله عنه لمن سمعهم يتكلمون عن عمل عثمان في هذا الامر : لا تقولوا فى عثمان إلا خيراً ، فوالله مافعل الذي فعل بالمصاحف إلاعن ملأ منا اصحاب محمد ، فقال ماتقولون في هذه القراءات التي اختلف الناس فيها ، يلقى الرجل الرجل فيقول : قراءتي خير من قراءتك ، وقراءتي افضل من قراءتك وهذا شبيه بالكفر ، فقلنا ما الرأي يا أمير المؤمنين ، قال فاني

أرى ان اجمع الناس على مصحف واحد ، فانكم ان اختلفتم اليوم كان من بعدكم اشد اختلافاً ، فقلنا نعم ما رأيت ، فارسل الى زيد بن ثابت وسعيد بن العاص فقال ليكتب أحدكم وليملِ الآخر ، فاذا اختلفتم في شيء فارفعوه إلي ، فما اختلفا في شيء من كتاب الله الا في حرف من سورة البقرة قال سعيد (التابوت) بالتاء ، وقال زيد (التابوه) بالهاء ، فرفعا الامر الى عثمان فقال اكتبوه التابوت بالتاء ، فما كان الاختلاف الا في رسوم الخط والكتابة .

قال القاضي ابو بكر في الانتصار : لم يقصد عثمان قصد ابي بكر في نقش القرآن بين لوحين وانما قصد جمعهم على القراءة الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم والغاء ما ليس كذلك وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل اثبت مع تنزيل ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد

وكان ابتداء الكتابة من سنة ٣٠ وقد امتدت الى سنة ٣٥ من الهجرة فعندئذ كمل الاستنساخ وارسلت النسخ .

وعين عثمان رضي الله عنه زيد بن ثابت ان يقريء بالمدينة وبعث عامر بن قيس مع المصحف البصري ، وأبا عبد الرحمن السلمي مع المصحف الكوفي ، والمغيرة بن شهاب مع المصحف الشامي ليدرسوا الناس بتلك المصاحف ، وقرأ كل اهل مصر بما في مصحفهم .

وقد أخذ المسلمون ينسخون مصاحفهم عليها ويعتنون بذلك العناية كلها ويتنافسون في ذلك حتى ظهرت طبقة من بين المسلمين نالت المركز والدرجة القصوى في حسن الخط وبراعة الاستنساخ .

فالجمع[1] الاول كان جمع الآيات حين نزولها في الكتف وامثاله مما كانت العرب تكتب عليه وعرضها على النبي صلى الله عليه وسلم .

والجمع الثاني : في عهد الخليفة ابي بكر رضي الله عنه كان جمع القرآن بين لوحين ونسخها في قطع الأديم

والجمع الثالث : في عهد عثمان رضي الله عنه كان جمع المسلمين على قراءة واحدة .

---

(١) تاريخ القرآن .

خط المصاحف

نشأ الاسلام في بيئة أمية لا تعرف القراءة والكتابة ، وكان الذين يحسنونها يعدون على الاصابع . وكان الخط المتداول في الحجاز هو الذي يسمى بالحيرى القديم او الانباري ومن بعد سمي بالحجازي وهو اصل النسخ ، فانتشر ذلك الخط بين المسلمين واصبح المصطلح الرسمي بينهم ، وقد كتب الصحابة الكرام رضوان الله عليهم القرآن الحكيم وكانوا اربعة واربعين ـ على أصح الاقوال ـ من كتاب الوحي بتلك الكتابة وبذلك الرسم وكان ذلك بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فأقرهم عليه ، وهو حجة شرعية كقوله وفعله صلى الله عليه وسلم فاصبح اتباع ذلك الرسم بالصفة المعروفة مما لا يجوز تغييره ولا تبديله . قال صاحب الابريز عن شيخه عبد العزيز الدباغ : رسم القرآن سر من اسرار المشاهدة وكمال الرفعة ، وهو صادر من النبي صلى الله عليه وسلم وليس للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة ، وانما هو بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي امرهم ان يكتبوه على الهيئة المعروفة

بزيادة الالف ونقصانها ونحو ذلك لأسرار لاتهتدي اليها العقول إلا بالفتح الرباني وهو سر من الاسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية ، فكما ان نظم القرآن معجز فرسمه معجز ايضاً . وكان عليه الصلاة والسلام يعلم كتابه كيفيـــة كتابة الحروف والكلمات فمن ذلك قوله لاحدهم : « اذا كتب احدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن » وقوله لآخر : « اذا كتبت بسم الله الرحمن الرحيم فبين السين فيه » وقوله لمعاوية ابن ابي سفيان رضي الله عنه : « الق الدواة وحرف القـــلم وانصب الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم » .

وحينما أراد ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه كتابة نسخ من القرآن الكريم استحضر المصحف الذي كان عند حفصة بنت الفاروق وزوج الرسول واستحضر زيد بن ثابت وضم اليه نفراً من قريش فكتبوه على الصفة التي كتب بها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافق الصحابة كلهم على ذلك ولم يختلفوا الا في كتابة التاء من آخر

(التابوت) أتكتب مفتوحة كتاء الطاغوت أم مربوطة كهاء (التوراة) ، ولما رفع الأمر الى عثمان رضي الله عنه جمع الصحابة وشاورهم في الامر فاتفقت كلمتهم على ان يكتبوها تاء مفتوحة تبعاً للغة قريش ولم يقع هذا الاختلاف في هذا الحرف إلا بسبب طول المدة ، وان اجماع الصحابة رضوان الله عليهم على كتابة المصاحف بهذا الرسم ـ وقد كانوا اثنى عشر الفاً ـ حجة في الدين لايجوز مخالفتها شرعاً ، وقد وردفي الحديث الصحيح « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ ، وايا كم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة » وقوله عليه الصلاة والسلام « اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر » وقوله « اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

قال عبد الرحمن بن هانيء البربري مولى عثمان : كنت عند عثمان رضي الله عنه وهم يعرضون عليه المصاحف فارسلني بكتف شاة الى أبي بن كعب فيها « لم يتسن » وفيها : « لا تبديل للخلق » وفيها : « فامهل الكافرين » قال : فدعا

الدواة فمحا احدى اللامين فكتب : « لخلق الله » ومحا « فامهل » وكتب « فمهل » وكتب « لم يتسنه » بالهاء .

سئل الامام مالك رضي الله عنه : أرأيت من استكتب مصحفاً أترى ان يكتب على ما استحدثه الناس من الهجاء اليوم ، فقال : لا أرى ذلك ، ولكن يكتب على الكتبة الاولى . قال السخاوي : والذي ذهب اليه مالك هو الحق اذ فيه بقاء الحالة الاولى الى ان يعلمها الطبقة الاخرى بعد الاخرى ولا شك ان هذا هو الاحرى ، اذ في خلاف ذلك تجهيل الناس باولية ما في الطبقة الاولى . وقال ابو عمرو الداني ولا مخالف لمالك من علماء الامة في ذلك . وسئل مالك ايضاً عن الحروف في القرآن مثل الواو والالف أترى ان يغير من المصحف اذا وجد فيه كذلك ؟ قال : لا — يعني الواو والالف المزيدتين في الرسم المعدومتين في اللفظ —

وقال الامام احمد رضي الله عنه : تحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو او الف او ياء أو غير ذلك .

وقال البيهقي في شعب الايمان : من يكتب مصحفاً ينبغي

ان يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفه فيه ولا يغير مما كتبوا شيئاً فانهم كانوا اكثر علماً واصدق قلباً ولساناً واعظم أمانة منا فلا ينبغي ان نظن بانفسنا استدراكا عليهم .

وقال ابن الحاج في المدخل : ويتعين عليه — كاتب المصحف — ان يترك ما احدثه بعض الناس في هذا الزمان ، وهو ان ينسخ المصحف على غير مرسوم المصحف الذي اجتمعت عليه الامة على ما وجد به بخط عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وقال عبد الرحمن بن القاضي المغربي بعد ذكره النقول المذكورة : ولا يجوز ذلك ، ولا يلتفت الى اعتلال من خالف بقوله : ان العامة لا تعرف مرسوم المصحف العثماني الى آخر ما عللوا به ، فهذا ليس بشيء لأن من لا يعرف المرسوم من الامة يجب عليه ان لا يقرأ في المصحف حتى يتعلم القراءة على وجهها ، ويتعلم مرسوم المصحف ، فان فعل غير ذلك فقد خالف ما اجتمعت عليه الامة وحكمه معلوم في الشرع الشريف

ومن عمل بشيء فهو مردود عليه لمخالفته الاجماع المتقدم ، وقد تسببت هذه المفسدة الى خلق كثير من الناس في هذا الزمان فليتحفظ من ذلك فى حق نفسه وحق غيره .

وقال القاضي عياض فى الشفاء : اجمع المسلمون على أن من نقص حرفاً قاصداً لذلك ، او بدله بحرف آخر مكانه او زاد حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الاجماع واجمع على انه ليس من القرآن عامداً لكل هذا انه كافر .

وجاء في المحيط البرهاني : انه ينبغي ان لا يكتب المصحف بغير الرسم العثماني .

وقد اجمع العلمـــاء على حرمة مخالفة الرسم العثماني لانها يترتب عليها تغيير في النطق وصلا أو وقفاً لذلك وجب كتابة المصحف على الرسم المصطلح السلفي دون غيره لان ذلك وضع لأداء جميع القراءات المروية عنه ﷺ وبتغييره يفوت ذلك القصد ، فالصحابة الكرام لم يجمعوا على هذا الرسم جزافاً وانما كان على اساس يدركه فقهاء اللغة وعلماء الدين وتترتب عليه الاحكام ولا سيما فى الامالة والوقف ، فالوقف مثلا على

نعمة ورحمـــة وسنة لا يعلم أهو بالهاء او التاء الا بالرسم ، وكذلك المحذوف منه الياء اوالواو بغيرعامل لايعلم الا بالرسم مثل قوله تعالى « أجيب دعوة الداع اذا دعان » وقوله تعالى « وسوف يأت الله » وقوله تعالى « ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير » وكذلك الموصول والمقطوع مثل : كلما ، وانما ، وعما ، وأمن . فالموصول نحو قوله تعالى « كلما أضاء لهم مشوا فيه » والمقطوع نحو قوله تعالى « كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها » ومثل ألا وألم بنون او بغير نون ، وكذلك اخذ القراءات المختلفة من اللفظ المرسوم برسم واحد كقوله تعالى « وما يخدعون الا انفسهم » وقوله تعالى «وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا » فلو كتبت الاولى وما يخدعون افاتت قراءة يخدعون ، ولو كتبت الثانية بالف على قراءة الجمع لفاتت قراءة الافراد .

وان القواعد الاملائية التي حدثت منذ عهـــد التأليف والتدوين لم يتفق عليها واضعوها ، بل اختلفوا في رسم كثير من الـكلمات كما هو مدون في مواضعه ، وهي بعد ذلك عرضة

للتغيير والتبديل ، وقد صارت اليوم موضع شكوى وتفكير نظراً لما فيها من كتابة احرف لا وجود لها في النطق ، وترك احرف منطوق بها ، فلا ينبغي والحالة هذه ان يخضع القرآن في رسمه لهذه القواعد المختلف عليها والتي هي عرضة للتغيير والتبديل .

وقد أجمع الائمة على انه لا يجوز كتابة القرآن بغير اللغة العربية لان كتابته بغيرها تخرجه عن الرسم الوارد الذي قام الاجماع على انه يجب التزامه بل قد تؤدي كتابته بغير العربية الى التغيير في اللفظ ، لأن بعض الحروف العربية لا نظير لها في بعض اللغات الاخرى . وقال ابو بكر محمد بن الفضل البخاري وهو من علماء الحنفية : ان تعمد كتابة القرآن بغير العربية يكون مجنوناً أو زنديقاً ، فالمجنون يداوى والزنديق يقتل . وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني بتحريم كتابة القرآن بالعجمة والقراءة بها ، ووجه ذلك بان القرآن العظيم بالعجمي تصرف في اللفظ المعجز الذي حصل التحدي به بما لم يرد بل يوهم عدم الاعجاز بل الركاكة الى آخر ما ذكره . وقال شيخ الاسلام المرغيناني في كتابه

التجنيس : ويمنع من كتابة القرآن بالفارسية لانه يؤدي الى الاخلال بحفظ القرآن لاننا أمرنا بحفظ النظم والمعنى وانه دلالة على النبوة ولانه ربما يؤدي الى التهاون بأمر القرآن .

وقالت لجنة الفتوى بالازهر : اجمع علماء الاسلام سلفاً وخلفاً على ان كل تصرف في القرآن الكريم يؤدي الى تحريف في لفظه او تغيير في معناه فممنوع منعاً باتاً ومحرم تحريماً قاطعاً وقد التزم الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم الى يومنا هذا كتابة القرآن الكريم بالحروف العربية ، ومن هذا يتبين ان كتابة القرآن العظيم بالحروف اللاتينية المعروفة لايجوز .

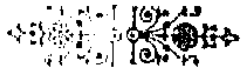

وضع الاعراب والاعجام

لما انتشر الاسلام واختلط العرب بالاعاجم ، ظهر اللحن على لسان بعض العرب فانتبه الغيارى من المسلمين الى النهوض والعمل لصيانة القرآن المجيد من ان يتسرب اليه من ذلك شيء فخاطبوا في ذلك زياد ابن ابيه امير البصرة وكان من فصحاء العرب وبلغائهم ، فبعث زياد الى ابي الاسود الدؤلي وكلمه في هذا الامر وقال له : ان هذه الحمراء — يريد غير العرب — قد كثرت وافسدت من ألسنة العرب فلو وضعت شيئاً يصلح به الناس كلامهم ويعربون به كتاب الله ، فامتنع ابو الاسود ان يضع ذلك باديء ذي بدء ، ولكنه مر في أحد الايام في احدى الطرق فسمع قارئاً يقرأ : « ان الله بريء من المشركين ورسوله » بكسر اللام من رسوله ، فاضطر الى اجابة زياد فيما سأله وأرسل اليه كاتباً من عبدالقيس ، فقال ابو الاسود للكاتب : خذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد فاذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط واحدة فوقه واذا كسرتها

فانقط واحدة اسفله واذا ضممتها فاجعل النقطة بين الحرف فان تبعت شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين . وعلى هذه الطريقة أعرب القرآن العظيم كله .

واتبعوا طريقة أبي الاسود ونوعوا فيها ، فكانوا إذا رأوا الحرف الذي بعد المنون حرف حلق وضعوا نقطتين احداهما فوق الاخرى علامة على أن النون مظهرة والا وضعوها متجاورتين علامة على الادغام أوالاخفاء . وقد زاد أهل المدينة للحرف المشدد علامة على شكل القوس طرفاه من أعلى (ـ) يوضع فوق الحرف المفتوح وتحت المكسور وعلى شمال المضموم ، ويضعون نقطة الفتحة في داخل القوس والكسرة تحت حدبته والضمة على شماله ، ثم استغنوا عن النقطة وقلبوا القوس مع الضمة والكسرة وابقوه على أصله مع الفتحة ، ثم حدث تغيير في صورة الشكل على يد الخليل بن احمد .

ولما كان القرآن غير معجم كثر التصحيف في القراءة وأخذ البعض يتلفظ حرفاً مكان حرف . فانتبه لهذا الامر

الحجاج بن يوسف الثقفي والي العراق ، فبعث الى نصر بن عاصم الليثي ، ويحيى بن يعمر العدواني وطلب اليهما وضع نقط على الاحرف افراداً وازواجاً لتمييزها ، وكذا وضع الحركات والسكنات بدل النقط التي وضعت من قبل أبي الاسود الدؤلي لكيلا تلتبس مع نقط الحروف . وإن الحجاج قد زاد فعهد الى العلماء تحزيب القرآن وتعشيره .

والف أحد علماء واسط إثر ذلك كتاباً في القراءات جمع فيه ما روي من اختلاف الناس فيما وافق الخط .

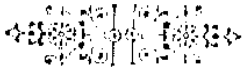

التجويد

التجويد مصدر من جوده تجويداً والاسم منه الجودة ضد الرداءة ، فهو عبارة عن الاتيان بالقراءة مجودة الالفاظ بريئة من الرداءة في النطق واعطاء الحروف حقها ومستحقها .

فالتجويد هو حلية التلاوة ، وزينة القراءة ، وهو اعطاء الحروف حقها وترتيبها ومراتبها ، ورد الحرف الى مخرجه واصله ، والحاقه بنظيره وتصحيح لفظه ، وتلطيف النطق به على حال صيغته وكمال هيئته ، من غير اسراف ولا تعسف ، والى ذلك اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : (من احب ان يقرأ القرآن غضاً كما انزل فليقرأ قراءة ابن ام معبد) يعني عبدالله بن مسعود ، وكان رضي الله عنه قد اعطي حظاً عظيما في تجويد القرآن وتحقيقه وترتيله ، حتى انه كان يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم عند تلاوته . .

ان الاسماع لتلتذ بقراءة القرآن الحكيم مجوداً مصححاً في تلاوته ، وتخشع القلوب عند قراءته ، حتى يكاد يسلب العقول ويأخذ الالباب [1]

---

(١) ملخص عن النشر في القراءات العشر

محاسن التلاوة وعيوبها

ويجب على طالب التجويد ان يكرر الالفاظ التي تلقاها من فم استاذه ويريض بها لسانه حتى يستقيم في اخراجها على الصورة اللازمة . قال ابو عمرو الداني : ليس بين التجويد وتركه إلا رياضة لمن تدبره بفكه ، فليس التجويد بتمضيغ اللسان ، ولا بتقعير الفم ، ولا بتعريج الفك ، ولا بترعيد الصوت ، ولا بتمطيط الصوت ، ولا بتقطيع المد ، ولا بتطنين الغنات ، ولا بحصرمة الراءات ، ولا قراءة تنفر عنها الطباع وتمجها القلوب والأسماع ، بل القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة التي لا مضغ فيها ولا لوك ، ولا تعسف ولا تكلف ، ولا تصنع ولا تنطع ، ولا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء بوجه من وجوه القراءات والاداء

وقد سمع حمزة قارئاً يبالغ فى الغنات فقال : أما علمت أن ما فوق البياض برص ، وان ما فوق الجعود قطط ، وان ما فوق القراءة ليس بقراءة .

فالقراءة بهذه العيوب التي ذكرت ممنوعة ممجوجة ، يأنف منها الطبع ويمجها السمع لما فيها من التكلف والتعسف ولانها مخالفة للنطق العربي الفصيح . فالواجب مراعاة اخراج الحروف من مخارجها فلا ينطق بالعين همزة ولا بالحاء هاء ، ولا بالضاد طاء او دالا ، كما يجب توفية الحروف حقها من الصفات كالترقيق ، والتفخيم ، والادغام ، والاظهار ، والاخفاء ، والقلقلة ، والشدة ، والاستفال ، والانفتاح ، والاصمات ، والمد ، والقصر ، والاذلاق ، والهمس ، والرخوة ، والاستعلاء والجهر ، والتوسط ، والانحراف ، والتكرير ، والصفير ، والتفشي ، والاطباق ، والاستطالة ، والغنة ، واللين . وان لم يفعل يكن من الداخلين في قوله عليه الصلاة والسلام (رب تال للقرآن والقرآن يلعنه)

وقال ابن الجزري في كتابه النشر :

لا شك في ان المسلمين كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن واقامة حدوده ، متعبدون كذلك بتصحيح الفاظه واقامة حدوده على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية

والافصحية العربية التي لا يجوز مخالفتها ولا العدول الى غيرها والناس في ذلك بين محسن ومأجـــور ، ومسيء وآثم ، او معذور ، فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح العربي الفصيح وعدل الى اللفظ الفـــارسي العجمي والنبطي القبيح استغناء بنفسه واستبداداً برأيه واتكالا على ما ألفه من حفظه ، واستكباراً عن الرجوع الى مالم يوقفه على تصحيح لفظه ، فانه مقصر بلا شك وآثم بلا ريب ، وأما من كان لا يطاوعه لسانه او لايجد من يهتدي به الى الصواب ، فان الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها ، وقد اجمع العلماء على ان النقص في كيفية النطق بالقراءة كالنقص في جوهر القرآن ومادته ، فمن نقص مدة أو غنة ، أو فخم مرققاً أو رقق مفخما ، أو أظهر مخفياً أو مدغماً ، كان كمن نقص بعض حروف القرآن وأسقط شيئاً من كلماته ، والزيادة كالنقص فمن زاد في الغنات والمدود أو بالغ في بعض صفات الحروف حتى خرج بها عن الحد المألوف ، أو مطط في الحركات حتى تولد عنها الفات وواوات وياءات ، كان كمن زاد في القرآن

ما ليس منه من الحروف والكلمات ، وكلا النقص والزيادة في القرآن حرام وبدعة مردودة . اه .

فتجويد القرآن فرض على كل مسلم ومسلمة عند التلاوة ، صيانة له عن أن يجد اللحن والتغيير اليه سبيلا . فتجويد اللفظ وتقويم الحروف وحسن الاداء واجب على كل من قرأ شيئاً من القرآن كيف ما كان لأنه لا رخصة في تغيير اللفظ بالقرآن وتعويجه واتخاذ اللحن سبيلا اليه ، فكما يجب تدبر القرآن وفهم معناه يجب تصحيح الفاظه واقامة حروفه على الصفة المتلقاة عن أئمة القراءة المأخوذة عن النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام

وإن الاداء في القراءة متواتر ، وقال العلماء إن اصل المد والامالة متواتر ، ولكن التقدير غير متواتر للاختلاف في كيفيته وانما ثبت آحاداً فقط ، وأما أنواع تحقيق الهمزة فكلها متواتر ، لأنه اذا ثبت تواتر اللفظ ثبت تواتر ادائه

مخارج الحروف

المخرج في الأصل : موضع الخروج ، والمراد هنا موضع ظهور الحرف وتمييزه عن غيره ، ويجب على تالي القرآن ان ينطق بالفاظه وحروفه بحسب ما ورد عن جبريل عليه السلام عن رسول الله ﷺ ، ويحتاج ذلك لمعرفة مخارج الحروف وصفاتها كي تتميز الحروف بعضها عن بعض ، ولكي يعرف كمية كل منها وكيفيته

فمخارج الحروف سبعة عشر على القول المختار وهي :

١ — الجوف : وهو مخرج للالف ، والواو الساكنة المضموم ما قبلها ، والياء الساكنة المكسور ماقبلها

٢ — أقصى الحلق : وهو مخرج للهمزة ، والهاء

٣ — وسط الحلق : وهو مخرج للعين ، والحاء

٤ — أدنى الحلق الى الفم : وهو مخرج الغين ، والخاء

٥ — أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى : مخرج القاف

٦ — أقصى اللسان ومن أسفل مخرج القاف من اللسان قليلا وما يليه من الحنك الأعلى : مخرج الكاف

٧ — من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى : مخرج الجيم ، والشين

٨ — من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر : مخرج الضاد

٩ — من حافة اللسان من أدناها الى منتهى طرفه وما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى مما فويق الضاحك والناب والرباعية والثنية : مخرج اللام

١٠ — من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا : مخرج النون

١١ — من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا غير انه ادخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه الى اللام : مخرج الراء

١٢ — من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا مصعداً الى جهة الحنك : مخرج الطاء ، والدال ، والتاء

١٣ — مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى : مخرج الزاي ، والسين ، والصاد

١٤ — مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا : مخرج الظاء ، والذال ، والثاء

١٥ — من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا : مخرج الفاء

١٦ — ما بين الشفتين : مخرج الباء ، والميم

١٧ — الخيشوم : مخرج النون الخفيفة

وإذا أراد القاريء أن يعرف مخرج الحرف فليسكنه أو يشدده وهو الأظهر ، أو يدخل عليه همزة الوصل ، وليصغ اليه فحيث انقطع الصوت في الفم فذاك مخرجه

obeikandl.com

صفات الحروف

ان الصفات للحروف كالناقد للأمور بعلم ودراية تميز الحروف المشتركة بعضها عن بعض وتبين كيفية النطق بها : وقد ذكر العلماء ان للحروف تسعة عشر صفة ، عشرة متضادة ، وتسعة ليست بمتضادة ، وذكر آخرون ان صفات الحروف اثنتان وعشرون ، وقد فصل ذلك علماء التجويد .

فالصفات المتضادة هي :

١ — الجهر : وضده ـ الهمس

٢ — الرخوة : وضدها ـ الشدة ، والتوسط

٣ — الاستفال : وضده ـ الاستعلاء

٤ — الانفتاح : وضده ـ الاطباق

٥ — الاصمات : وضده ـ الاذلاق

والصفات التي لا ضد لها هي :

١ — الصفير

٢ — القلقلة

٣ — اللين

٤ — المدّ

٥ — الانحراف

٦ — التكرير

٧ — التفشي

٨ — الاستطالة

٩ — الغنة

ولنذكر هنا جدولا للحروف الهجائية وصفاتها :

أ — الجهر[١]، والشدة[٢]، والاستفال[٣]، والانفتاح[٤]،

---

(١) الجهر : احتباس مجرى النفس مع تحرك حروفه

(٢) الشدة : احتباس جري الصوت عند إسكان حروفه

(٣) الاستفال : انخفاض اللسان عند التلفظ بحروفه الى الحنك الأعلى

(٤) الانفتاح : هو انفتاح قليل من اللسان والحنك الأعلى بحيث يخرج الريح من بينهما عند النطق بحروفه

obeikandl.com

والاصمات[١]، والمد[٢]، والترقيق[٣]

ب — الجهر، والشدة، والاستفال، والانفتاح، والاذلاق[٤]، والقلقلة[٥]، والترقيق.

ت — الهمس[٦]، والشدة، والاستفال، والانفتاح، والاصمات، والترقيق.

ث — الهمس، والرخوة[٧] والاستفال، والانفتاح، والاصمات، والترقيق.

---

(١) الاصمات: منع انفراد حروفه اصولا في الكلمات الرباعية والخماسية

(٢) المد: اطالة الصوت بحرف مدي من حروف العلة

(٣) الترقيق: تنحيف الحرف بجعله في المخرج نحيفاً وفي الصفة ضعيفاً

(٤) الاذلاق: الاعتماد على طرف اللسان والشفة عند النطق

(٥) القلقلة: اضطراب الحرف عند النطق به ساكناً مماثلا الى الفتح حتى يسمع له نبرة قوية

(٦) الهمس: جري النفس مع تحرك حروفه

(٧) الرخوة: جري الصوت مع حروفه حال اسكانها

ج — الجهر، والشدة، والاستفال، والانفتاح، والاصمات، والقلقلة، والترقيق.

ح — الهمس، والرخوة، والاستفال، والانفتاح، والاصمات، والترقيق.

خ — الهمس، والرخوة، والاستعلاء[1]، والانفتاح، والاصمات، والتفخيم[2]

د — الجهر، والشدة، والاستفال، والانفتاح، والاصمات، والقلقلة، والترقيق.

ذ — الجهر، والرخوة، والاستفال، والانفتاح، والاصمات، والترقيق.

ر — الجهر، والتوسط[3]، والاستفال، والانفتاح،

---

(١) الاستعلاء: ارتفاع اللسان عند التلفظ بحروفه الى الحنك الأعلى

(٢) التفخيم: تسمين الحرف بجعله في المخرج سميناً وفي الصفة قوياً.

(٣) التوسط: هو الذي لم يجر الصوت مع حروفه جريانه ـ

والاذلاق ، والانحراف[١] ، والتكرير[٢] والترقيق .

ز — الجهر ، والرخوة ، والاستفال ، والانفتاح ، والاصمات ، والصفير[٣] ، والترقيق .

س — الهمس ، والرخوة ، والاستفال ، والانفتاح ، والاصمات ، والصفير ، والترقيق .

ش — الهمس ، والرخوة ، والاستفال ، والانفتاح ، والاصمات ، والتفشي[٤] والترقيق .

ـ مع الرخوة ولم ينحبس معه انحباسه مع الشدة

(١) الانحراف : ميل الحرف بعد خروجه حتى يتصل بمخرج غيره

(٢) التكرير : ارتفاع رأس اللسان عند النطق بالحرف

(٣) الصفير : صوت زائد يخرج من بين الشفتين

(٤) التفشي : انتشار الريح من الفم عند النطق بالحرف حتى يتصل بمخرج غيره الذي هو الظاء

obeikandl.com

ص - الهمس ، والرخوة ، والاستفال ، والاطباق[١] ، والاصمات ، والصفير ، والتخفيم .

ض — الجهر ، والرخوة ، والاستعلاء ، والاطباق ، والاصمات ، والاستطالة[٢] والتفخيم .

ط — الجهر ، والشدة ، والاستعلاء ، والاطباق ، والاصمات ، والقلقلة ، والتفخيم .

ظ — الجهر ، والرخوة ، والاستعلاء ، والاطباق ، والاصمات والتفخيم .

ع — الجهر ، والتوسط ، والاستفال ، والانفتاح ، والاصمات ، والترقيق .

غ — الجهر ، والرخوة ، والاستعلاء ، والانفتاح ، والاصمات والتفخيم .

---

(١) الاطباق : انطباق اللسان الى الحنك الأعلى عند النطق

(٢) الاستطالة : امتداد الحرف من مخرجه من اول حافة اللسان الى آخرها حتى يتصل بمخرج اللام .

obeikandl.com

ف — الهمس ، والرخوة ، والاستفال ، والانفتاح ، والاذلاق والترقيق .

ق — الجهر ، والشدة ، والاستعلاء ، والانفتاح ، والاصمات والقلقلة ، والتفخيم .

ك — الهمس ، والشدة ، والاستفال ، والانفتاح ، والاصمات والترقيق .

ل — الجهر ، والتوسط ، والاستفال ، والانفتاح ، والاذلاق والانحراف ، والترقيق .

م — الجهر ، والتوسط ، والاستفال ، والانفتاح ، والاذلاق والغنة [١] والترقيق .

ن — الجهر ، والتوسط ، والاستفال ، والانفتاح ، والاذلاق والغنة ، والترقيق .

و — الجهر ، والرخوة ، والاستفال ، والانفتاح ، والاصمات واللين [٢] والمد ، والترفيق .

---

(١) الغنة : صوت يخرج من الخيشوم وهو اقصى الانف (٢) اللين : هو اخراج الحرف من غير كلفة وبتوأدة

هـ — الهمس، والرخوة، والاستفال، والانفتاح، والاصمات والترقيق.

لا — الجهر، والرخوة، والاستفال، والانفتاح، والاصمات والاشتراك بين الترقيق والتفخيم.

ي — الجهر، والرخوة، والاستفال، والانفتاح، والاصمات واللين، والمد، والترقيق.

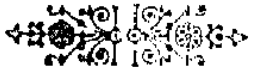

openkandil.com

القاب الحروف

للحروف القاب أخر عدا التي ذكرناها وهي :

الحلقية — وتكون في : العين ، والهاء ، والحاء ، والخاء ، والغين ، والهمزة .

اللهوية — وتكون في : القاف ، والكاف .

الشجرية — وتكون في : الجيم ، والشين ، والضاد ، و«الشجر مفرج الفم»

والاسلية — وتكون في : الصاد ، والسين ، والزاي . «لان مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طرفه»

والنطعية — وتكون في : الطاء ، والذال ، والتاء ، «لان مبدأها من نطع الفار الاعلى .

واللثوية — وتكون في : الظاء ، والدال ، والثاء . «لان مبدأها في اللثة»

والذلقية — وتكون في : الراء ، واللام ، والنون .

والشفوية — وتكون فى : الفاء ، والباء ، والميم .

والهوائية — وتكون في : الواو ، والالف ، والياء .

القراءات

القراءات : هي نوع من التلاوة توافق لغة العرب ولو من وجه ، وقد تواتر سندها ووافقت أحد المصاحف العثمانية ، فما لم يوافق لغة العرب ولم يتواتر سنده ولم يوافق احد المصاحف العثمانية فليس بقرآن .

وقد نزل القرآن بسبعة احرف تنتظم جميع اللغات العربية وهي متلقاة عن النبي ﷺ وموقوفة على السماع . روى البخاري ومسلم والنسائي والترمذي وابو داود ومالك عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : سمعت هشام بن حكيم ابن حزام يقرأ سورة الفرقان على حروف كثيرة لم يقرأنيها رسول الله ﷺ فكدت ان أساوره في الصلاة فتربصت به حتى سلم فلببته بردائي . فقلت له من اقرأك هذه السورة ؟ قال : اقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت : كذبت إن رسول الله ﷺ اقرأنيها على غير ماقرأت ، فانطلقت به اقوده الى رسول الله فقلت : يارسول الله اني سمعت هذا يقرأ سورة

الفرقان على حروف كثيرة لم تقرأنيها فقال : أرسله اقرأ ياهشام فقرأ القراءة التي سمعته يقرأ ،فقال رسول الله ﷺ : هكذا انزلت ، ثم قال اقرأ ياعمر ، فقرأت القراءة التي اقرأني فقال رسول الله : هكذا انزلت ، ان هذا القرآن انزل على سبعة احرف فاقرأوا ماتيسر منه . وروى البخاري في صحيحه ان رسول الله ﷺ قال : اقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف .

وانما انزل القرآن على هذه الاحرف تيسيراً على الامة لاختلاف لهجاتها كأن يكون الحرف المرموز له بألف (أ) تيسيراً على اهل الشمال من قضاعة وجاراتها ، والحرف (ب) مثلا تيسيراً على هوازن ، و(ج) تيسيراً على تميم وهلم جرا فى بقية الحروف ، إلا ان هذا لغة قضاعة أو ذاك لغة هوازن أو الآخر لغة التميميين . واوضح مثال لذلك هذه العربية التي نتعلمها ونتكلم بها اليوم فانما هي حرف او نخبة من لغات الجزيرة العربية كلها لايختص بقريش ولا كنانة ولا تميم ولا هذيل ، فالحرف فى القراءات قراءة او لغة على هذا المثال .

هـــذه الاحرف يعرفها النبي ﷺ فيقرىء كل قارىء ماينا سبه منها وما يقدر عليه ، فمنهم من يقرئه على حرف واحد، ومنهم من يقرأ على حرفين ، ومنهم من يستطيع ان يتلقى جميع الحروف كزيد بن ثابت رضي الله عنه (١)

ولا شك فى ان من نظر الى ذلك كله وعرف ان النبي كان يخاطب جميع قبائل العرب وفيهم الشيخ الفاني والغلام والخادم وضعيف الادراك وسيء الحفظ ومتلعثم اللسان وانه كان يعلمهم جميعاً القرآن ولم يرتب فى انه لا بأس من تعليم كل قوم بلغتهم ولا داعي لتكليفهم بمشقة الانتقال عنها بل يرى ذلك من الحكمة تسهيلا عليهم واستمالة لنفوسهم الابية وتوسيعاً لطريق الدين فى وجه من يريد الدخول فيه . غاية الامر انه يلزم ان لا يكل ذلك لاختيارهم لئلا يختلف التعبير عنـــه باختلاف الافهام أو تلاعب الاوهام وليس يليق بفعل الله وهو احكم الحاكمين ان يكلف العرب ان يتعلموا لغة قريش مثلا ثم يجيئوا للنبي بعد ذلك ليأخذوا عنه القرآن (٢)

---

(١) الهداية الاسلامية . (٢) الجواب المنيف للدجوي

واللغات التي نزل بها القرآن غير لغة قريش هي : لغة بني سعد ، وثقيف ، وخزاعة ، وهـــذيل ، وكنانة ، وأسد ، وضبة ، ثم قيس واكنافها وهم يسكنون وسط الجزيرة .

obeikandl.com

اختلاف القراءات

قال ابن الجزري : تتبعت صحيح القراءة وشاذها وضعيفها ومنكرها فاذا هي يرجع اختلافها الى سبعة اوجه لايخرج عنها وذلك :

١ — اما في الحركات بلا تغير بالمعنى والصورة نحو :
البخل باربعة ، ويحسب بوجهين

٢ — او بتغيير في المعنى فقط نحو : فتلقى آدم من ربه كلمات .

٣ — وأما في الحروف بتغيير المعنى لا الصورة نحو :
تبلو وتتلو .

٤ — او بالعكس نحو : بصطة ، وبسطة ، والصراط والسراط .

٥ — او بتغييرهما نحو : أشد منكم ومنهم ، ويأتل ويتأل

٦ — وأما في التقديم والتأخير نحو : فيقتلون ويقتلون

٧ — او في الزيادة والنقصان نحو : اوصى ووصى

openkandil.com

قال : وأما نحو اختلاف الاظهار والادغام والروم والاشمام فهذا ليس فى الاختلاف الذي يتنوع فى اللفظ والمعنى لان هذه الصفات الممنوعة فى اداءه لا تخرج عن أن يكون لفظه واحداً .

وقال ابن قتيبة بصدد هذه الاحرف السبعة : (١) ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته نحو (ولا يضار كاتب) بفتح الراء وضمها . (٢) ما يتغير فيه الفعل مثل : بعد وباعد بلفظ الماضي والطلب . (٣) ما يتغير بالنقط مثل : ننشرها ، وننشزها . (٤) مايتغير بابدال حرف قريب المخرج مثل : طلح وطلع . (٥) ما يتغير بالتقديم والتأخير مثل : وجاءت سكرة الموت بالحق ، وسكرة الحق بالموت (٦) مايتغير بزيادة ونقصان مثل : والذكر والانثى ، وخلق الذكر والانثى . (٧) ما يتغير بابدال كلمة باخرى مثل : كالعهن المنقوش ، وكالعهن المنفوش .

قال الاستاذ العلامة محمد الخضر حسين فى كتابه (نقض كتاب فى الشعر الجاهلي) واختلاف القراءات على نوعين :

(اولهما) اختلاف القرائتين فى اللفظ مع اتفاقهما فى المعنى

ومن هذا النوع ما يرجع الى اختلاف اللغات ، كقراءتي « اهدنا الصراط » بالصاد ، او « اهدنا السراط » بالسين ، الى ما يشاكل هذا من نحو الاظهار والادغام والمد والقصر او تحقيق الهمز وتخفيفه ، والحكمة في هذا تيسير تلاوته على ذوي لغات مختلفة « فلو اراد كل فريق من هؤلاء ان يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئاً وكهلا ، أشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ، ثم لم يمكنه ذلك الا بعد رياضة للنفس طويلة وتذليل للبيان وقطع للعادة ، فاراد الله عز وجل بلطفه ورحمته ان يجعل لهم متسعاً في اللغات ومتصرفاً في الحركات »[1]

ومن هذا النوع مالا تختلف فيه اللغات وانما هما وجهان او هي وجوه تجرى في الفصيح من الكلام نحو (وما عملت ايديهم) و (ما عملته ايديهم) وهذا النوع وارد على سنة العرب من صرف عنايتها الى المعاني ونظرها الى الالفاظ نظر الوسائل فلا ترى بأساً في ايراد اللفظ على وجهين او وجوه

---

(١) مشكل القرآن لابن قتيبة

ما دام المعنى الذي يقصد بالخطاب باقياً فى نظمه ومأخوذاً من جميع اطرافه ، وفي هذا توسعة على القاريء وعدم قصره على حرف ولا سيما حيث كان محجوزاً عليه ان يغير الكلمة من القرآن ويحيد بها عن وجهها المسموع .

(ثانيهما) اختلاف فى اللفظ والمعنى مع صحة المعنيين كليهما وحكم هذا ان تكون الآية بمنزلة آيتين وردتا لافادة المعنيين جميعاً ، كاختلاف قراءتي « مالك يوم الدين » بالالف و « ملك يوم الدين » بغير الف ، فقد افادت احدى القراءتين ان الله مالك يوم الدين يتصرف فيه كيف يشاء ، وافادت الاخرى انه ملكه الذي يحكم فيه بما يريد .

اما اختلاف اللفظ مع تضاد المعنيين فهذا لا اثر له فى القرآن . قال ابو محمد بن قتيبة في مشكل القرآن : الاختلاف نوعان ، اختلاف تغاير واختلاف تضاد ، فاختلاف التضاد لا يجوز ، ولست واجده بحمد الله في شيء من كتاب الله . واختلاف التغاير جائز . ثم ضرب لهذا النوع من الاختلاف امثلة من الآيات ، واتى في بيان جوازه على ناحية ان كلا من

المعنيين صحيح ، وان كل قراءة بمنزلة آية مستقلة ، ولا جرم ان يكون هذا الاختلاف فناً من فنون الايجاز الذي سلكه القرآن في ارشاده وتعليمه .

وقال الاشموني في كتابه منار الهدى : ولا شك ان القبائل كانت ترد على النبي ﷺ وكان يترجم لكل أحد بحسب لغته فكان يمد قدر الالف والفين والثلاثة لمن لغته كذلك ، وكان يفخم لمن لغته كذلك ، ويرقق لمن لغته كذلك ، ويميل لمن لغته كذلك ، واما ما يفعله قراء زماننا من ان القاريء كل آية يجمع ما فيها من اللغات ، فلم يبلغنا وقوعه عن رسول الله ﷺ ولا عن اصحابه قاله الشعراني في الدرر المنثورة في بيان فريدة العلوم المشهورة .

وان اول من اقتصر على جمع قراءة السبعة المشهورة اثناء المائة الرابعة احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد .

واختلاف القراء اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض فان هذا محال ان يكون في كلام الله تعالى .

وقال الطحاوي : انما كانت السبعة للناس في الحروف

لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم لانهم كانوا اميين لا يكتب الا القليل منهم فاما كان يشق على كل ذي لغة ان يتحول الى غيرها من اللغات ولو رام ذلك لم يتهيأ له الا بمشقة عظيمة فوسع لهم في اختلاف الالفاظ اذ كان المعنى متفقاً، فكانوا كذلك حتى كثر منهم من يكتب وعادت لغاتهم الى لسان رسول الله ﷺ، فقدروا بذلك على تحفظ الفاظه فلم يسعهم حينئذ ان يقرأوا بخلافها. قال ابن عبد البر: فبان بهذا ان تلك السبعة الاحرف انما كان في وقت خاص لضرورة دعت الى ذلك، ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الاحرف وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد

قال ابن الحاجب في مختصره: القراءات السبع متواترة فيما ليس من قبيل الاداء كالمد والامالة وتخفيف الهمز ونحوها.

ولو لم تكن لكان بعض القرآن غير موات كملك ومالك ونحوها وتخصص احدهما تحكم باطل لاستوائها.

وقال صاحب التقرير والتحبير: قراءة السبعة ما كان منها من قبيل الأداء بان كان هيئة للفظ يتحقق بدونها ولا تختلف

خطوط المصاحف به كالحركات والادغام في المثلين والمتقاربين وهو ادراج الاول منهما ساكناً في الثاني ، والاشمام ، والروم والتفخيم ، والامالة ، والقصر ، وتخفيف الهمزة ، واضدادها من الفك وعدم الادغام ، وعدم الروم ، والترقيق ، وعدم الامالة ، والمد وتخفيف الهمز — لا يجب تواترها ، وخلاف ما كان من قبيل الاداء مما اختلف بالحروف (كملك) المنسوب قراءته الى من عدا الكسائي وعاصما (ومالك) المنسوب قراءته اليهما ، ويسمى بقبيل جوهر اللفظ متواتر . ثم قال :

وقد نظر العلامة الشيرازي في كون ما من قبيل الاداء كالحركات لا يجب تواتره بخلاف ما كان منه ، لأن الحركات وما معها ايضاً قرآن .

لنا في ان ما من قبيل الأداء ، انه قرآن فوجب تواتره ، ضرورة أن جميع القرآن متواتر اجماعاً لكون العادة قاضية به . قال المخالف : هذه القراءات آحاد لانها منسوبة الى سبعة نفر ، والتواتر لا يحصل بهذا العدد فيما اتفقوا عليه فضلا عما اختلفوا فيه . أجيب بان نسبة القراءات السبع اليهم

لاختصاصهم بالتصدي للاشتغال بها واشتهارهم بذلك ، لا لأنهم النقلة لها خاصة ، بمعنى أن رواياتهم مقصورة عليهم ، بل عدد التواتر موجود معهم في كل طبقة الى ان ينتهي الى النبي صلى الله عليه وسلم . اهـ

obeikandl.com

القراء

علمنا مما تقدم ان القرآن الكريم قد نزل على سبعة احرف ، وان تلك الاحرف قد اخذها الصحابة الكرام عن النبي صلى الله عليه وسلم فحصل بذلك بعض الاختلاف في كيفيات الحروف وادائها وبعض الكلمات واعرابها ، وقد تناقل المسلمون ذلك باسناد صحيح وتواتر ذلك الاسناد الى ان استقر في القراء السبعة المشهورين وسميت قراءاتهم بالقراءات السبعة ، وتوجد ثلاث قراءات اخرى آحادية واربعة شاذة فيكون المجموع اربعة عشر قراءة . قال ابن قتيبة وابن الجزري وابو الفضل الرازي : ان الاحرف السبعة هي الاوجه التي يقع بها الاختلاف في القراءة مثل الحركات وابدال حرف بآخر قريب المخرج منه وتقديم وتأخير .

وقال ابن ابي هاشم : ان السبب في اختلاف القراءات السبع وغيرها ان الجهات التي وجهت اليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه اهل تلك الجهة ، وكانت المصاحف

خالية من النقط والشكل ، قال فثبت اهل كل ناحية على ما كانوا تلقوه سماعاً عن الصحابة بشرط موافقة الخط وتركوا مايخالف الخط امتثالا لأمر عثمان الذي وافقه عليه الصحابة لما رأوا في ذلك من الاحتياط للقرآن ، فمن ثم نشأ الاختلاف بين قراء الامصار مع كونهم متمسكين بحرف واحد من السبعة . وقد ذكر تفصيل ذلك في البحث السابق فلا نطيل الكلام فيه الآن بل نكتفي بذكر مختصر عن تراجم القراء السبعة ورواتهم ، واليك ذلك :

١ — ابو عبدالله نافع بن عبدالرحمن بن ابي نعيم الليثي المدني ، احد القراء السبعة ، ثقة صالح ، اصله من اصبهان ، وكان اسود اللون صبيح الوجه حسن الخلق فيه دعابة . أخذ القراءة عن سبعين شيخاً من التابعين ، وروى عنه القراء عرضاً وسماعاً ، وانتهت اليه رياسة القراءة بالمدينة بعد التابعين . وتوفى بالمدينة سنة ١٦٩ هـ

وأشهر رواته اثنان :

أ — عثمان بن سعيد المصري الملقب بـ (ورش) شيخ

القراء المحققين ، وامام اهل الاداء المرتلين ، انتهت اليه رئاسة القراء بالديار المصرية في زمانه ، ولد سنة ١١٠ بمصر ، وقد رحل الى نافع وعرض عليه القرآن عدة مرات ، وقد لقبه نافع بالورشان لأنه كان على قصره يلبس ثياباً قصاراً وكان إذا مشى بدت رجلاه مع اختلاف الوانه ـ والورشان طائر معروف ـ ثم خفف فقيل ورش ولزمه ذلك حتى صار لا يعرف إلا به ، ولم يكن فيما قيل أحب اليه منه ، فيقول : استاذي سماني به . وتوفى بمصر سنة ١٩٧ عن سبع وثمانين سنة

ب — عيسى بن مينا مولى بني زهرة الملقب بـ (قالون) ربيب نافع وقارىء المدينة ونحويها وقد سماه نافع بقالون لجودة قراءته فان قالون بلغة الرومية جيد . ولد سنة ١٢٠ وتوفى سنه ٢٢٠ عن عمر يناهز المائة .

٢ — عبدالله بن كثير المكي الداري امام اهل مكة في القراءة . ولد بمكة سنة ٤٥ وقد أدرك قسما من الصحابة الكرام وأخذ عنهم وبقي الامام المجمع عليه في القراءة بمكة الى أن توفي سنة ١٢٠عن عمر يناهز الخامسة والسبعين .

وأشهر رواته اثنان :

أ ـــ محمد بن عبـــدالرحمن المخزومي المكي الملقب بقنبل المولود سنة ١٩٥ وقد سمي بقنبل لاستعماله دواء يقال له قنبيل لداء كان به فلما اكثر منه عرف به وحذفت الياء تخفيفاً وقد انتهت اليه رياسة الاقراء بالحجاز ورحل الناس اليه من الاقطار ، ثم انه طعن في السن وشاخ وقطع الاقراء قبل موته بسبع سنين ، وقد توفي سنة ٢٩١ عن ست وتسعين سنة

ب ـ احمـد بن محمد البزي ـ والبزة الشدة ـ المكي مقريء مكة ومؤذن المسجد الحرام . ولد سنة ١٧٠ وتوفي سنة ٢٥٠ عن عمر يقارب الثمانين .

٣ ـ ابو عمرو زبان بن العلاء التميمي المازني البصرى . ولد سنة ٦٨ ثم توجه مع ابيه الى مكة والمدينـــة فقرأ على مشايخها ثم قرأ بالبصرة والكوفة ، وهو اكثر القراء شيوخاً ، وكان اعلم الناس بالقرآن والعربية مع الصدق والثقة والزهد . وقد توفي بالكوفة سنة ١٥٥ عن عمر يقارب التسعين .

وأشهر رواته اثنان :

أ — ابو عمر حفص بن عمر بن عبدالعزيز بن صهبان الدوري الازدي البغدادي الضرير نزيل سامراء امام القراء وشيخ الناس في زمانه ، وهو اول من جمع القرءات . رحل في طلب القراءات وقرأ بسائر الحروف السبعة وبالشواذ وسمع من ذلك شيئاً كثيراً . توفي سنة ٢٤٦ .

ب — أبو شعيب صالح بن زياد السوسي الرقي وقد كان مقرئاً ضابطاً محرراً ثقة ، أخذ القراءة عرضاً وسماعاً ، توفي سنة ٢٦١ عن عمر يقارب السبعين .

٤ — أبو عمران عبدالله بن عامر اليحصبي الحميري امام اهل الشام في القراءة والذي انتهت اليه مشيخة الاقراء بها ، أخذ القراءة عن بعض كبار الصحابة ، كان عالماً ثقة فيما أتاه ، حافظاً لما رواه ، عارفاً فاهماً من افاضل المسلمين وخيار التابعين وأجلة الراوين . ولد سنة ٨ من الهجرة في البلقاء بضيعة يقال لها (رحاب) ، وقبض رسول الله ﷺ وله من العمر سنتان ، وبعد فتح دمشق ذهب اليها وتوفي فيها سنة ١١٨ .

وأشهر رواته اثنان :

أ — أبو الوليد هشام بن عمار السلمي الدمشقي امام اهل دمشق وخطيبهم ومقرؤهم ومحدثهم ومفتيهم . ولد سنة ١٥٣ ، وكان فصيحاً واسع العلم والرواية والدراية ، رزق كبر السن وصحة العقل والرأي فارتحل الناس اليه في القراءات والحديث توفى سنة ٢٤٥

ب — ابو عمر عبدالله بن احمد بن بشر بن ذكوان القرشي الفهري الدمشقي الامام الراوي الثقة شيخ الاقراء بالشام وامام جامع دمشق لم يكن بالعراق ولا بالحجاز ولا بالشام ولا بمصر ولا بخراسان في زمانه اقرأ منه ، ولد سنة ١٧٣ وتوفي سنة ٢٤٢

٥ — ابو بكر عاصم بن بهدلة أبي النجود الأسدي الكوفي ، شيخ الاقراء بالكوفة واحد القراء السبعة ، جمع بين الفصاحة والاتقان والتحرير والتجويد ، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن توفي سنة ١٢٧ بالكوفة

وأشهر رواته اثنان :

أ — حفص بن سليمان الأسدي الكوفي ربيب عاصم وابن

زوجته وأعلم الناس بقراءته ، وقد اقرأ الناس دهراً ، ولد سنة ٩٠ وتوفي سنة ١٨٠

وان المصاحف التي بين ايدينا الآن هي بحسب رواية حفص هذا لقراءة عاصم عن عبدالله بن حبيب السلمي عن علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان وزيد بن ثابت وابي بن كعب رضي الله عنهم اجمعين عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ب — ابو بكر شعبة بن عياش الاسدى الكوفي ، وكان اماماً كبيراً عالماً عاملا ، وكان من أئمة السنة ، وعمر دهراً إلا انه قطع الاقراء قبل موته بسبع سنين ، وتوفي سنة ١٩٣ وقد ناهز المائة .

٦ — ابو عمارة حمزة بن حبيب الكوفي التيمي أحد القراء السبعة ولد سنة ٨٠ واليه صارت الامامة في القراءة بعد عاصم والاعمش ، وكان اماماً حجة ثقة ثبتاً بصيراً بالفرائض عارفاً بالعربية حافظاً للحديث عابداً زاهداً توفي سنة ١٥٧ بحلوان (قصر شيرين)

واشهر رواته اثنان :

أ — خـــلاد بن خالد الشيباني الكوفي الصيرفي امام في القراءة ثقة عارف محقق وهو ضابط توفى سنة ٢٢٠

ب — ابو محمد خلف بن هشام البزار البغدادي الاسدي احد القراء العشرة ولد سنة ١٥٠ وكان ثقة كبيراً زاهـــداً عابداً عالماً توفى سنة ٢٢٩ ببغداد وهو مختف من الجهمية .

٧ — علي بن حمزة الكسائي النحوي الامام الذي انتهت اليه رياسة الاقراء بالكوفة بعد حمزة الزيات ، وكان الكسائي يتخير القراءات فاخذ من قراءة حمزة بعض وترك بعضاً وكانت القراءة علمه وصناعته . وقال ابن الانباري : اجتمعت في الكسائي امور : كان اعلم الناس بالنحو واوحـــدهم في الغريب وكان اوحد الناس في القرآن فكانوا يكثرون عليـــه حتى لا يضبط الاخذ عليهم فيجمعهم ويجلس على كرسي ويتلو القرآن من اوله الى آخره وهم يسمعون ويضبطون عنه حتى التقاطع والمباديء توفى سنة ١٨٩ بمدينة طوس

وأشهر رواته اثنان :

أ — حفص بن عمر الدوري الذي تقدم الكلام عنه

ب — ابو الحارث الليث بن خالد البغدادي أحد الحذاق الماهرين في ضبط القراءات توفي سنة ٢٤٠

التطريب في التلاوة
واسلوب القرآن الموافق لذلك

ذكر اكثرية العلماء ان رفع الصوت بقراءة القرآن والتطريب به مستحب ومنهم ابو حنيفة والشافعي رضى الله عنهما ، لأن القارىء اذا أحسن الصوت بالتلاوة كان أوقع في النفوس وأسمع في القلوب ، وما من احد يسمع قراءة المجودين اولي الأصوات الحسنة إلا ويشعر بتأثير عظيم وانشراح في صدره ، وخضوع وخشوع في قلبه ، وندم وتقريع لنفسه على ما فرط في جنب الله تعالى . وقد كان لتلاوة القرآن باصوات رخيمة تأثير عظيم لجذب العرب الى الاسلام ، وان اكثر الصحابة قد أسلموا لما سمعوا القرآن ، ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلقد أعلن اسلامه عند سماعه القرآن في دار شقيقته ، وإننا نقرأ ان كثيراً من غير المسلمين قد امتدحوا القرآن وإن لم يصدقوه لجمال وقعه في نفوسهم ، وحلاوة تلاوته في اسماعهم .

وقد كان المشركون يؤذون ابا بكر الصديق رضي الله عنه ويمنعونه من الصلاة في الحرم المكي ، ثم حاولوا منعه من رفع صوته بالقرآن في المسجد الذي بناه في فناء بيته لما رأوا من اقبال الناس رجالا ونساء على سماع ما يقرأ ، لتأثير قراءته في النفوس . لأن نغمات القرآن تنتقل الى حواس السامع الباطنية حتى تسيطر عليها وتقودها مرغمة الى الاصغاء والانصات ، ولقد بلغ من سيطرة نغمات القرآن على الحواس الباطنية انه يكفي ان تقال آية فيها خطأ امام شخص لا يحفظ القرآن ولكن له المام يسير ببعض سوره لكي يدرك ان في هذه الآية لفظاً قلقاً وان من الخير مراجعة المصحف . وروى البيهقي عن يحيى بن اكثم قال : دخل يهودي على المأمون فاحسن الكلام فدعاه الى الاسلام فأبى ، ثم بعد سنة جاء مسلماً فتكلم في الفقه فاحسن الكلام ، فسأله المأمون ما سبب اسلامه ، قال : انصرفت من عندك فامتحنت هذه الأديان ، فعمدت الى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وادخلتها على البيعة فاشتريت مني ، وعمدت الى الانجيل

فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وادخلتها البيعة فاشتريت مني ، وعمدت الى القرآن فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وادخلتها الى الوراقين فتصفحوها فوجدوا فيها الزيادة والنقصان فرموا بها فلم يشتروها ، فعلمت ان هذا الكتاب محفوظ فكان هذا سبب اسلامي

قال جبير بن مطعم سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فما سمعت احداً أحسن صوتاً أو قراءة منه وخلت فؤادي قد انصدع ، وكان جبير إذ ذاك مشركا فأثرت فيه قراءته ﷺ فأعلن اسلامه . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « زينوا القرآن باصواتكم » وقال : ليس منا من لم يتغن بالقرآن » وقال : « لله اشد آذانا الى الرجل الحسن الصوت من صاحب القينة الى قينته » وعن عائشة زوج النبي رضي الله عنها انها قالت : ابطأت على رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال : أين كنت ؟ قلت : كنت أسمع قراءة رجل من اصحابك لم اسمع مثل قراءته وصوته من احد ، قالت : فقام فقمت معه حتى أستمع له ، ثم التفت الي

فقال : هذا سالم مولى ابي حذيفة : الحمد لله الذي جعل في امتي مثل هذا .

وكان ابو موسى الأشعري رضي الله عنه يقرأ يوماً القرآن ، فمر به رسول الله ﷺ ، ثم رآه عليه الصلاة والسلام في اليوم الثاني فقال له : يا أبا موسى لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة ، لقد اوتيت مزماراً من مزامير آل داود ، فقال أبو موسى : اما والله لو علمت انك تسمع قراءتي لحبرتها لك تحبيراً . وان مزامير داود أنزلت لأجل الترنم بها ، وكانت الطير تحشر وتجمع لصوته وترجع ترنيمه . ولقد كانت القراءة في صدر الاسلام اما تحقيقاً (١) أو حدراً أو تدويراً . فلما كانت المائة الثانية كان من قرأ بالتلحين والتطنين عبيدالله ابن ابي بكرة وكانت قراءته حزناً ليست على شيء من الحان الغناء والحداء ، فورث ذلك عنه حفيده عبدالله بن عمر بن عبيد الله ، فهو الذي يقال له قراءة ابن عمر

(١) التحقيق : اعطاء كل حرف حقه على مقتضى ما قرره العلماء مع ترتيل وتؤدة . والحدر : ادراج القراءة وسرعتها مع مراعاة شروط الاداء الصحيحة . والتدوير : التوسط بين التحقيق والحدر .

وأخذها عنه الأباضي ، ثم أخذها سعيد بن الملاف واخوه عن الأباضي وصار سعيد رأس هذه القراءة في زمنه ، وعرفت به ، لأنه اتصل بالرشيد فأعجب بقراءته وكان يحظيه ويعطيه حتى عرف بين الناس بقارىء امير المؤمنين (١)

قال الحافظ ابن حجر في شرحه للبخاري ما ملخصه : ولا شك في أن النفوس تميل الى سماع القرآن بالترنم اكثر من ميلها لمن لا يترنم ، لأن للتطريب تأثيراً في رقة القلب واجراء الدمع ، وكان بين السلف اختلاف في جواز تلاوة القرآن بالالحان ، اما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك ، وقد نص الشافعي في المختصر على جواز القراءة بالالحان ، وعن رواية الربيع الجيزي انها مكروهة . وقد قال الرافعي في هذين القولين إن المكروه أن يفرط في المد وفي اشباع الحركات حتى يتولد من الفتحة الف ومن الضمة واو ومن الكسرة ياء ، أو يدغم في غير موضع الادغام ، فان لم ينته الى هذا الحد فلا كراهة . وقال النووى :

---

(١) اعجاز القرآن للرافعي

ويستحب طلب القراءة من حسن الصوت والاصغاء اليه .

ويجب أن تراعى في القراءة قوانين التجويد فان حسن الصوت يزداد حسناً بذلك ، وإن خرج عنها أثر ذلك في حسنه ، وغير الحسن ربما اضطر الى مراعاتها .

ويجب أن يراعي القارىء الاداء اولا ، وأن لا يخل به ، ومن راعى الانغام دون الأداء فقد اثم ، من راعاهما معاً فلا شك انه من المصلحين .

ولقد جاء اسلوب القرآن الكريم مخالفاً كل المخالفة لأساليب العرب فى شعرها ونثرها ، وتركب من آيات تنتهي في الكثير الغالب بحرف صحيح يسبقه حرف علة ساكن كقوله تعالى « ن . والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون » . « الرحمن . علم القرآن . خلق الانسان علمه البيان » « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المرسلين . بلسان عربي مبين » ففي هذه الأمثلة تجد الآيات منتهية بحرف صحيح تسبقه واو في الطائفة الاولى ، والف في الثانية ، وياء في الثالثة ، وتجد لكل نوع من ثلاثتها صوتاً يحلو فى السمع ،

وترتاح له النفس ، وتتقبله الروح قبول حسن .

ويستعمل القرآن في كل موطن من المواطن طائفة خاصة من الحروف المتحدة المخرج ، كاستعمال حروف الاطباق والقلقة في سورة « ق » فتجد فيهـــا حروف القاف والطاء والجيم مترددة من اول السورة الى آخرهـــا كانها تصنع مع حروف اخرى ثوباً منسوجاً من فتلات خاصة . قال تعالى : « ق . والقرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب » الخ ..

ومن ذلك ايضاً تردد الحرف الواحد مرات كثيرة في الآية الواحدة حتى يلائم نسجها ولا تنبو كلماتها ، وحتى لا يقع في الكلام تنافر ، كتردد حرف اللام ٢٢ مرة في آية الكرسي ، وتردد الهاء في نفس الآية نحو ١٣ مرة ، وكتردد حرف الراء في سورة القمر ، والنون في سورة الرحمن وهكذا ، فاذا أخرجت الحروف المتحدة الأجناس من مقاطعها متوافقة في الصفات ، متحدة الأقدار في مقاييس حركاتها ومداتها بحيث تكون أجناس الحروف التي لها التفخيم مفخمة ، والتي

لها الشدة شديدة ، والتي لها الهمس مهموسة ، والتي لها الرخاوة رخوة ، وهكذا ؛ ويكون مقدار النطق بالحرف الذي لم يجاوره حرف المد نصف الف . ومقدار النطق بالحروف التي جاورتها حروف المد ولم تتصل بها الهمزة ولم يليها السكون حركتين ، ومقدار المدود التي زادت عن طبيعتها بسبب الهمز والسكون أزيد من حركتين ، فتمد الى الف ونصف والى الفين ونصف والى ثلاث الفات ، وطول المدات وقصرها يختلف باختلاف وجوه المد وانواعه ، واقصى المد ثلاث الفات . والقراءة بالمرانة .

ولا شك في ان القراء تختلف قراءتهم باختلاف اصواتهم ، وتتفاوت تلاوتهم بتفاوتهم في حسن الاداء والمهارة بالقراءة ، وجودة التلاوة ، وقوة الحفظ ، فبعضهم أندى من بعض صوتاً ، وأمد قراءة ، وأجود ترتيلا ، وأزين وأعلى في السمع جرساً ونغمة . فبعضهم يقصر في كل ذلك أو في بعضه عن مرتبة الحذاق المهرة في القراءة ، والميزان الذي توزن به اقدار القراء وتقاس به درجة التفاضل فيما بينهم : ينحصر فيما اوتي

القارىء من قوة في نبرات الصوت وجهارته ، وامتداد النفس مع جودة النطق بالحروف واخراجها من مخارجها الحقيقية ، واعطائها ما تستحقه من صفات وهيئات فنية يعرفها الحذاق بفن التجويد ، ويضاف الى ذلك ما أوتيه القارىء من مزية التعبير عن المعنى تعبيراً صادقاً بالوقف عند النهايات ، والابتداء حيث تحسن البدايات ، مع تكييف الصوت بكيفيات لطيفة دقيقة تشعر السامع بالمعنى ، وتقذفه في نفسه قذفاً ، وتصله بحلاوة الصوت من صماخ الاذن الى شغاف القلب ، بشرط الا تخرج به تلك الكيفيات الصوتية عن القواعد التجويدية الى محض الكيفيات الغنائية او التمثيلية (١)

وليس يخفى ان مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي ، وان هذا الانفعال بطبيعته انما هو سبب في تنويع الصوت بما يخرجه فيه مداً أو غنة أو ليناً أو شدة ، ربما يهيء له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من اصولها ، ثم هو يجعل الصوت الى الايجاز والاجتماع والاطناب والبسط بمقدار ما يكسبه من الحدة

(١) الاسلام

والاهتزاز وبعد المدى ونحوها مما هو بلاغة الصوت فى لغة الموسيقى .

فلو اعتبرنا ذلك في تلاوة القرآن على الاداء الصحيحة لرأيناه ابلغ ما تبلغ اليه اللغات كلها فى هز الشعور واستثارته من اعماق النفس ، وهو من هذه الجهة يغلب بنظمه على كل طبع عربي حتى ان القاسية قلوبهم من اهل الزيغ والالحاد ومن لا يعرفون لله آية في الآفاق ولا فى أنفسهم لتلين قلوبهم وتهتز عند سماعه لأن فيهم طبيعة انسانية ولأن تتابع الاصوات على نسب معينة بين مخارج الأحرف المختلفة هو بلاغة اللغة الطبيعية التي خلقت فى نفس الانسان فهو متى سمعها لم يصرفه عنها صارف من اختلاف العقل أو اختلاف اللسان ، وعلى هذا وحده يؤول الأثر الوارد فى أن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً لأنه يجنب هذا الكمال اللغوي ما يعد نقصاً منه اذا لم تجتمع اسباب الأداء فى اصوات الحروف ومخارجها ، وانما التمام الجامع لهذه الاسباب صفاء الصوت ، وتنوع طبقته واستقامة وزنه على كل حرف[1]

---

(١) اعجاز القرآن للرافعي